علي ما ذكر في هذه المقدمة وقد ذكره صاحب المفتاح في اخر
المعاني والبيان والثاني ما وقع في بعض الكتب من ان المقدمة
في بيان حد العلم والغرض منه وموضوعه زعما منهم ان هذا
عين المقدمة واعلم ان للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة
اقوالا شتا لا فايدة في ايرادها الا الاطناب فالاولى ان نقتصر
على تقرير ما ذكر في الكتاب فنقول الفصاحة وهي في الاصل
تنبئ عن الابانة والظهور يقال فصح الاعجمي وافصح اذا انطلق لسانه
وخلصت لغته من اللكنة وجادت فلم يلحن وافصح به
اي صرح يوصف بها المفرد يقال كلمة فصيحة والكلام
يقال كلام فصيح في النثر وقصيدة فصيحة في النظم والمتكلم
يقال كاتب فصيح وشاعر فصيح والبلاغة وهي تنبئ
عن الوصول والانتهاء يوصف بها الاخران اي الكلام والمتكلم
فقط دون المفرد يقال كلام بليغ ورجل بليغ ولم يسمع كلمة
بليغة وقوله فقط من اسماء الافعال بمعنى انته وكثيرا
ما تصدر بالفاء تزيينا للفظ وكانه جزاء شرط محذوف اذا وصفت
بها الاخرين فقط اي فانته عن وصف الاول بها واعلم انه لما كان
الفصاحة عندهم يقال لكون اللفظ جاريا على القوانين المستنبطة
من استقراء كلامهم كثير الاستعمال على السنة العرب الموثوق
بعربيتهم وقد علموا ان الالفاظ الكثيرة الدوران فيما بينهم

هي

هي التي تكون جارية على اللسان سالمة من تنافر الحروف
والكلمات والغرابة والتعقيد اللفظي والمعنوي جزم المصنف
بان اللفظ الفصيح ما يكون سالما عن مخالفة القوانين والتنافر
والغرابة والتعقيد وقد تسامح في تعيين الفصاحة بالخلوص
عما ذكر بكونه لازما لها تسهيلا للامر لما كانت المخالفة
في المفرد راجعة الى اللغة وفي الكلام الى النحو وكانت الغرابة
مختصة بالمفرد والتعقيد بالكلام حتى صار فصاحة
المفرد والكلام كانهما حقيقتان مختلفان وكذا كانت البلاغة عندهم
يقال للمعنى مخصوص لها كون الكلام على وفق مقتضى الحال وكان كل
من الفصاحة والبلاغة يقع صفة للمتكلم بمعنى اخر بادر اولا الى تقسيمهما
باعتبار ما يقعان وصفا له ثم عرف كلا منهما على وجه يخصه ويليق
به لتعذر جمع الحقايق المختلفة في تعريف واحد ولا يوجد
قدر مشترك بينهما كالحيوان المشترك بين الانسان والفرس وغيرهما
لان اطلاق الفصاحة على الاقسام الثلاثة من اطلاق اللفظ المشترك
على معانيه المختلفة نظرا الى الظاهر وكذا البلاغة ولا يخفى تعذر
تعريف مطلق العين الشامل للشمس والذهب وغير ذلك فصح ان
تفسير الفصاحة والبلاغة على هذا الوجه مما لم يجده في كلام الناس
لكنه اخذه من اطلاقاتهم واعتباراتهم وح لا يتوجه الاعتراض على قوله
لم اجد في كلام الناس ما يصلح لتعريفهما بانه لا مدخل للراي في تقسيم
الالفاظ ولا يحتاج الى ان يجاب عنه بان المراد بالناس المعهودون

Copyright © King Saud University